دراسات
ISSN: 2090 – 0449 Online
**ARCIF** Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
**AIF** Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.43].

# الدور الاقتصادي للعبيد في إفريقية
# خلال القرن الأول والقرن الرابع الهجري

**د. حامد العجيلي**
أستاذ مساعد التاريخ الوسيط
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
صفاقس – الجمهورية التونسية

## مُلَخّص

*شهد القرن الأول الهجري عمليات فتح إفريقية وبلاد المغرب ومع توافد العرب للاستقرار بإفريقية عرفت هذه الأخيرة عديد التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، فكان من أوليات الاستقرار العربي ببلاد المغرب محاولة بسط النفوذ على الأرض وتنظيم المجال الذي تم فتحه من خلال عمليات توطين العنصر العربي وهو الذي سيحدث عديد التغيرات. كانت تلك التغيرات تتعلق بالأنشطة الاقتصادية المختلفة إضافة إلى جلب العرب لعادة جديدة لبلاد المغرب وإفريقية بشكل خاص حيث تم إرساء نظام عبودي جديد ليقطع مع الحضور البيزنطي في شتى المجالات ومنها كيفية استغلال الأرض واليد العاملة التي استخدمت في ذات الغرض، كما ارتبطت بلاد إفريقية بإفريقيا جنوب الصحراء والمشرق الإسلامي مما ساهم في تطور المبادلات وتبعا لاستقرار العرب فإنه تم استخدام العبيد منذ فترة الولاة وتواصل خلال المرحلة اللاحقة وصولا إلى القرن الرابع الهجري حيث تشعبت عمليات استغلال العبيد السود والبيض وفي هذه الورقة سنحاول دراسة حضور العبيد في النشاط الزراعي والبناء والحرف حتى نبين التغيرات التي طرأت خلال كامل الفترة المدروسة.*

## بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ٣٠ أبريل ٢٠٢٢
تاريخ قبـول النشـر: ٢٨ مايو ٢٠٢٢

## كلمات مفتاحية:

إفريقية؛ النشاط الزراعي؛ العبيد؛ الملكيات الكبرى؛ الحرف؛ البناء

## معرّف الوثيقة الرقمي:

10.21608/KAN.2022.285430

## الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

حامد العجيلي."الدور الاقتصادي للعبيد في إفريقية خلال القرن الأول والقرن الرابع الهجري".- دورية كان التاريخية.- السنة الخامسة عشرة- العدد السادس والخمسون؛ يونيو ٢٠٢٢. ص ٥٧ – ٧٠.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

**Corresponding author**: hamedajili2@gmail.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّورية كان التَّاريْخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

## مُقدِّمَةُ

لا شك أن عملية الفتح ساهمت في تشكل واقع جديد بإفريقية حيث ظهر نظام عبودي جديد وفق نظيره الإسلامي في المشرق، فتنوعت أصناف العبيد والأسرى الذين تم الحصول عليهم وساهمت تلك الفئات في مختلف الأنشطة الاقتصادية فمنها ما تم استغلاله في النشاط الزراعي وغيرها في النشاط الحرفي إضافة إلى أشغال البناء وتبعا لذلك فإن العبيد والأسرى كانت لهم أنشطة اقتصادية مختلفة.

امتدت الفترة المعنية بالدراسة على القرن الأول وصولاً إلى القرن الرابع الهجري ويعني ذلك فترة الفتح وفترتي الدولة الأغلبية والدولة الفاطمية وهو ما يعني أن هناك تطور في موضوع العبودية حسب تطور وضعية إفريقية من اللا دولة إلى فترة الدولة فكيف تطورت ظاهرة العبودية؟ وما هي ميزات حضور العبيد في الأنشطة الاقتصادية المختلفة؟ ثم كيف يمكن فهم تلك التطورات؟ ألا تحيل تلك التطورات على تطور المجتمع الأفريقي؟ فكيف ساهم العبيد في مختلف الأنشطة الاقتصادية التي أحالت عليها المصادر ثم كيف قدمت لنا المصادر تلك المعطيات؟

## أولاً: العبيد والنشاط الزراعي

يبدو أن نهاية الفتح واستقرار العرب بإفريقية تم على إثره إعادة توزيع الأراضي على المنتصرين وعلى حد عبارة المالكي "استقامت إفريقية كلها (لحسان بن النعمان) وأمن أهلها"[1] وكانت الملكيات متفاوتة من حيث المساحة والخصوبة وأكد الأستاذ الطالبي أن "الأرستقراطية" الجديدة آنذاك اعتمدت على قوة عمل العبيد في ملكياتهم[2] وتبدو هذه المسألة شائكة لكل من يحاول البحث في تفاصيلها نظرا لعدم وفرة المادة المصدرية الضرورية التي من شأنها أن تجيب على العديد من الأسئلة ذات الصلة بالموضوع.[3]

إن استعمال العبيد الذين بقوا في إفريقية على ذمة المسلمين في المجال الاقتصادي كان بدون شك متعددا فاستعمل البعض في الحاجيات المنزلية فحسب والبعض الآخر في خدمة الأرض في إطار التنظيم الجديد للأراضي. وفيما يتعلق بهذا الصنف الأخير فيمكن أن نقبل بما ورد في المصادر التي استعملها بعض الباحثين بشكل جيد حيث بين بوضوح أن مجال إفريقية قد كان مبدئيا مقسما بين المحاربين الذين شاركوا في الفتح ومجموع الخمس مخصص للضرائب ومن المسلم به أن هذا الخمس يحتوي كذلك في جانب منه على الممتلكات التي كانت في جزء منها تابعة للضرائب الملكية البيزنطية.

وبالنسبة للأراضي التي وزعت على المحاربين فإنها تعود في الغالب لقواد الجند و"الأرستقراطية' العربية وهو ما يعني أن هؤلاء قد تسلموا الأرض والعاملين فيها في نفس الوقت والذين كانوا على ذمة الملك البيزنطي.[4] وقد أشارت المصادر إلى الملكيات الكبرى من خلال استعمال مصطلحات مختلفة مثل قرية ومنزل وضيعة ومنية[5] وتبدو كل هذه المصطلحات متصلة بالأراضي التي كانت على ملك رجال الدولة من الأمراء والفقهاء وقدماء المحاربين الذين شاركوا في الفتح كما توزعت هذه الملكيات في مختلف أنحاء إفريقية وخاصة منها المناطق الخصبة القادرة على الإنتاج بالإضافة إلى انتشار مختلف أنواع الملكيات الأخرى الصغرى منها وذات الاستغلال الجماعي وسنقتصر على تتبع الإشارات التي أوردتها المصادر والخاصة بالنشاطات الفلاحية التي أسندت إلى العبيد.

فأبو عبد الله محمد بن مسروق (توفي في بداية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي) كان والده من القواد مع موسى ابن نصير في المغرب وكان يمتلك قرية حملت اسمه وهي المعروفة بقرية المسروقين كما نسبت إليه "بحيرة المسروقين"[6] وكان له عدد هام من العبيد كانوا يكدون في الأرض مثلما ذكر المالكي.[7] كما تنسب قرية المغيريين إلى أبي المغيرة عبد الله بن أبي بردة القرشي الذي كان من "التابعين" وتقلد قضاء إفريقية من سنة ٩٩هـ إلى ١٢٣هـ وكان من المشاركين في فتح المغرب والأندلس في فترة موسى ابن نصير وترك ثروة مهمة لابنه تمثلت في قصر مغيرة وقريته[8] وكذلك الشأن بالنسبة "لمدينة الأنصاريين التي نسبت إلى قوم نزلوها من الأنصار "اشتهرت بإنتاج الحنطة[9] وليس مستبعدا أن اليد العاملة المستعملة كانت من العبيد أو المولّدين.

ويبدو أن أغلب الأنشطة الفلاحية كانت قد ازدهرت بإفريقية منذ منتصف القرن الأوّل الهجري وخلال الفترات اللاحقة ومن بينها زراعة البقول ويمثل هذا الصنف يزيد ابن حاتم وكان له بعض الوكلاء المشرفين على بعض مزارعه وذكر ابن عذاري:" روي أن بعض وكلائه زرع فولا كثيرا في بعض رياضاته فقال له:" يا ابن اللخناء أتريد أن أعير بالبصرة، فيقال: يزيد ابن حاتم باقلاني" ثم أمر أن يباح للناس."[10]

وكان لعبد الرحمان ابن حبيب وأفراد عائلته عديد المنازل يستغلها عن طريق يد عاملة من العبيد[11] أما سحنون بن سعيد (١٦٠/٢٤٠هـ) فكان من بين أهم الملاكين العقاريين بإفريقية

خلال القرن الثالث الهجري فكانت له ملكيات بمنزل صقلاب وبناحية صفاقس كانت له ١٢٠٠٠أصل زيتون[١٢] وأشارت المصادر كذلك أن سحنون ذكر أن أحد غلمانه أصابته حمى فأراد أن ينوبه في حراثة أرضه ونميل إلى الاعتقاد أن هذه الإشارة يجب أن تؤوّل في الإطار العام الذي ورد فيه الخبر وليس على أساس نقص في عدد العبيد الذين كانوا تحت تصرف الفقيه كما وفد على السيد سحنون أحد غلمانه من منزل صقلاب وأخبره أنه هلك زوج من البقر وماتت له خادم وقطعت له الريح نحو خمسين ومائة شجرة.[١٣] وكان لسحنون ملكيات أخرى منها منزل بني هنغلات ويبدو من النص أن هناك عائلات بأكملها من العبيد تسكن هذا المنزل أو هم بمثابة أقنان وكانت أوضاع أولئك العبيد جد قاسية إذ أن السيد سحنون لم يجد عند عبده ما يفترشه إلا برذعة حماره حين داهمه الليل وقرر المبيت عندهم.[١٤]

أما علي بن أسلم أخو سحنون من الرضاع الذي ولاه قضاء الساحل وهو جد أبي إسحاق الجنياني فكان يمتلك عديد المنازل ومن بينها منزل جنيانة وكان قد شيد على نفقته الخاصة سور مدينة صفاقس كما أنشأ جامعا خاصا به بالإضافة إلى بناء المحارس التي ألحقت باسمه (محرس علي) وتذكر مناقب الجنياني امتلاكه عددًا هامًا من العبيد السود والصقالبة.[١٥] وأورد البيدي في المناقب "كنا أوينا إلى قصر بقرب جنيانة...فنظرنا من أعلى القصر حتى رأينا السودان يخرجون من ناحية جنيانة."[١٦]

ونجد إشارة كذلك لـ"منية سردينيا" التي نعتت بأنها قرية وبين ابن الأثير أنها توجد بالقيروان وأشار بعض الباحثين أن موقع هذه المنية يناسب هنشير سردينيا الذي يوجد على بعد ١٧كلم شمال شرق جلولاء.[١٧] أما البكري فذكر أنه "من القيروان إلى مدينة جلولا أربعة وعشرون ميلا...وبقرب جلولا منتزه يعرف بسردانية ليس بإفريقية موضع أجمل منه فيه ثمار عظيمة وفيه من النارنج خاصة نحو ألف أصل وجلولا مدينة لها حصن وهي مدينة أولية قديمة مبنية بالصخر وفيها عين ثرة في وسطها وهي كثيرة الأشجار والثمار وأكثر رياحينها الياسمين وبطيب عسلها يضرب المثل لكثرة ياسمينها[١٨] وبها يربب أهل القيروان السمسم بالياسمين وبالورد والبنفسج وبها قصب السكر كثير ومنها كان يرد إلى القيروان كل يوم من أحمال الفواكه والبقول ما لا يحصى كثرة وحولها الجنات"[١٩]

ولعل المصادر حين تحدثت عن روح ابن حاتم وحياة الملوك التي كان يعيشها تفيد بأن هذه المنية كانت على ما يبدو موجودة وربما كان يشرف عليها عبيد أو موالي من البيزنطيين أو أصيلي سردينيا مثلما تشير تسمية المنية، ولعل الوصف الذي قدمه البكري وما جاء في الخبر المتعلق بروح بن حاتم من قبل الرقيق يجعلنا نقتنع أن الورد الذي كان في غير فصله قد جيء به من هذه المنية.[٢٠]

وكان لابنه الفضل كذلك عددا هاما من العبيد والموالي وذكر الرقيق أنه حين ثار الجند سنة ١٧٨هـ على أمير إفريقية الفضل بن روح بن حاتم وقدموا ابن الجارود بتونس تعجب الفضل من بقائه وحيدا وقال: "لم يبق أحد إلا صار علينا حتى من أعتقناه"[٢١] وهو ما يدل أنه كان يمتلك عددا من العبيد إلا أن العتق وما يتبعه من الولاء كان وقتذاك ضروريًا لإيجاد الأرضية الملائمة للحفاظ على المكتسبات التي جنتها عائلته من الفتح.

### ١/١-العمل في الواحات

لدينا إشارة هامة ونادرة ذكرتها المصادر تتعلق بعمل العبيد السود في الواحات وقد أشار ابن عذاري عند حديثه عن ثورة منصور الطنبذي ضد الأغالبة سنة ٢٠٩هـ بقوله: "لم يبق لزيادة الله من إفريقية كلها إلا قابس والساحل ونفزاوة وطرابلس فإنهم تمسكوا بطاعته...فقال له سفيان بن سوادة: "مكني ممن أثق بهم أتقدم بهم إلى نفزاوة فدعا بربرها إلى نصرته فأجابوه فأقبل عامر بن نافع في الجند نحو نفزاوة فلما وصل إلى قسطيلية جمع ألف أسود ومعهم الفؤوس والمساحي وخرج بهم إلى نفزاوة فنزل تقيوس وبلغ ابن سوادة قدومه فخرج إليه واقتتل معه فانهزم الجند وقتل منهم عدد كثير ورجع عامر إلى قسطيلية فأقام بها ثلاثة أيام يجبي أموالها ليلا ونهارا حتى كمل له من ذلك ما أراد وسار نحو القيروان.[٢٢]

وكانت قسطيلية تتكون من مدينة توزر والحامة ونفطة و "توزر هي أمها وهي مدينة كبيرة عليها سور مبني بالحجر والطوب ولها جامع محكم البناء وأسواق كثيرة وحولها أرباض واسعة آهلة وهي مدينة حصينة لها أربعة أبواب كثيرة النخل والبساتين والثمار...وحولها سواد عظيم من النخل وهي أكثر بلاد إفريقية تمرا ويخرج منها في أكثر الأيام ألف بعير موقورة تمرا وأزيد كما أضاف أن جباية قسطيلية مائتا ألف دينار"[٢٣]

إن هذه الإشارة تبين بدون ريب العمل الذي كان يقوم به العبيد السود في الواحات ولا ننسى في نفس الوقت كما أشرنا سابقا أن قسطيلية كانت أهم مركز تجميع العبيد بإفريقية لأنها تمثل ممرا رئيسيا للقوافل التجارية في رحلة ذهابها وإيابها إلى بلاد السودان ولعل الوصف الذي تركه البكري لقسطيلية على الرغم أنه يعود إلى فترة متأخرة إلا أن ذلك

الازدهار ليس نتيجة تطور فجائي وإنما هو وليد صيرورة زمنية ارتبطت في جزء كبير منها بعلاقة المنطقة بالتجارة الصحراوية وأهمية الدور الذي لعبه التجار الإباضيون بواحات الجريد. ونجد لدى الفقهاء الإباضيين موقفا متسامحا في استخدام واستغلال قوة عمل العبيد ليلا ونهارا إن أمكن ذلك وهو ما يحيلنا على الواقع الفعلي الذي كان سائدا أكثر مما أشارت إليه الروايات التي تثني على المعاملة الحسنة من قبل السيد لعبيده.[٢٤]

### ٢/١-العمل في مزارع السكر

كانت زراعة قصب السكر قد انتشرت في البلاد الإسلامية منذ الفترة الأموية وحين انتقل العرب إلى إفريقية تم جلب هذه الصناعة معهم وتواجد السكر عند العرب بعيد الفتوحات الإسلامية فنجد السكر بسوريا منذ القرن السابع وقد رأت كل من إفريقية والمغرب والسوس ضرورة تطوير زراعته كما انتشر كذلك بصقلية وتواصل الاهتمام به من قبل النورمان حتى أن أحد أبواب سرقوصة كانت تحمل اسم "باب السكر" وسمي نهج ب" نهج العسل" وفي مصر كانت الغزوات العربية لمصر في القرن الثامن قد ساهمت في انتشار القصب السكري كما نجد ذلك في حدائق غرناطة.[٢٥]

أما بإفريقية فنجد إشارات متأخرة ولكنها هامة لأنها تشير إلى وجود هذه الزراعة بجنوب إفريقية وغير بعيد كذلك عن قسطيلية المركز الهام الذي كانت تمر منه القوافل التجارية نجد مدينة قابس التي كان بها "اتصال بساتين ثمارها مقدار أربعة أميال ومياهها سائحة مطردة يسقى بها جميع أشجارها وأصل هذا الماء من عين حرارة...وبها قصب السكر كثير"[٢٦] وتفيد إشارة هامة في مؤلفات الطبقات أن محمد بن بسطام بن رجاء الضبي المتوفى سنة ٣١٣هـ بمدينة سوسة "كان قد اشترى وصيفا لإصلاح المصباح في حين نسخه بالليل وكان يتخذ له القصب الحلو يقطعه له قطعا لطافا فإذا نعس الوصيف جعل في فيه قطعة منها ليزيل عنه النعاس."[٢٧] وهو دليل هام على انتشار قصب السكر بإفريقية.

ولا نستبعد كذلك استعمال يد عاملة من العبيد السود في مزارع السكر مثلما ذكر البكري الذي أشار إلى أن مدينة إيجلي بالمغرب الأقصى على سبيل المثال مدينة كبيرة سهلية ويوجد غربيها نهر كبير كما كان قصب السكر كثيرا وكان قنطار السكر يبتاع بمثقالين وأقل[٢٨]. لا شك أن عمل العبيد في مزارع السكر بقي غامضا على الرغم من الإشارات القليلة في هذا الغرض ويبدو أن العمال الموسميين كانوا من اليد العاملة المستعملة في ذلك الصنف من الزراعات مع وجود عدد من العبيد خاصة وأن مؤلف النوادر والزيادات يذكر العمل بالأجرة خلال العصر الأغلبي وفي الفترات اللاحقة بقيت المعلومات محدودة ولا نستبعد تواصل استعمال العمال الأجراء والموسميين.

### ٣/١-تربية الماشية

كما كان هناك اهتمام بتربية الماشية التي أشرف عليها عدد كبير من العبيد فابن يزيد ابن حاتم كانت له غنم كثيرة" وعلى الرغم أن النص ذكر أن يزيد زجر ابنه على ذلك "وأمر بذبحها وأن تباح للناس" وهو ما حدث مثلما بين ابن عذاري حيث " انتهبوها وأكلوها وجعلوا جلودها في كدية فهي تعرف من ذلك الوقت بكدية الجلود"[٢٩] وقدم أبو العرب صورة أحد السادة الكبار عند تعيينه للقضاء حيث عرض على الناس ما يملكه من ثروة " جمع كل عبد له وماشية فأراهم للناس وقال لهم:" هذا ما أملك" وكانت عبيدا كثيرة ومواشي من صنوف المواشي وقال للناس:" إني قد أحضرت إليكم جميع مالي لأريكم إياه فإن زدت على ما ترون شيئا فأنا خائن" ثم أمر بصرف ذلك إلى منازله التي كانوا بها."[٣٠]

وأوردت المصادر لفظة "منية" التي تحيلنا على مساحة مهمة من الملكية على ما يبدو وأشار الرقيق القيرواني إلى "منية الخيل" التي تعني نزهة وتم إحداثها من قبل الوالي يزيد ابن حاتم (١٥٥-١٧١هـ/٧٧١-٧٨٧م)[٣١] ومن الوارد أن هذه المنية التي كان بها إسطبلا لتربية الخيل كانت تحتوي على عدد من اليد العاملة من العبيد الذين كانوا ربما من المولّدين أو السود لأن المصادر لا تشير إلى ذلك.

وذكر الشماخي أن يبيب ابن زلغين وهو من الطبقة الثانية (٢٠٠-٢٥٠هـ) كان له ثلاثون ألف ناقة وثلاثمائة ألف شاة واثنا عشر ألف حمار ويبدو من سياق الخبر الذي يقدمه الشماخي أن هذا الشخص كان قد خصص حيا بأكمله لسكنى عبيده وقال صاحب السير "وفي الخبر مر إلى غنمه حتى وصل الحي فنزل مقابل خيمة فنادت امرأة على أخرى: أدخلي الضيف فصاحب المال لا يريد أن يبيت الضيف بلا عشاء فردت عليها الأخرى أن أدخليه أنت فبادرت فأدخلته فلما قدم الرعاة وفيهم من يعرفه وكانوا جميعا عبيدا له أعتق المدخّلة وزوجها ووهب لهما ما بأيديهما من المال."[٣٢]

وبين هذا النص بجلاء وجود عدد هام من العبيد الرعاة لقطعان الماشية وخاصة الإبل التي كانت تمثل أهم وسيلة نقل آنذاك وخاصة في المناطق التي كانت ممرا للقوافل التجارية مثل قسطيلية وسجلماسة وورجلان وغدامس

والفزان وجادو وجنوب المغرب الأقصى وغيرها من المدن التي كان تجارها يترددون على بلاد السودان.[٣٣]

ولدينا إشارة في المصادر تعود إلى القرن الرابع حيث تعرضت بعض العائلات إلى مصادرة أملاكها من قبل جيش أبي يزيد مثلما ذكر القاضي النعمان على لسان أحد المتضررين:"وأنا في منزلي وداري ومعي أهلي وولدي وعندي العبيد كذا ومن البقر كذا ومن الغنم والذخائر كذا والطعام والزيت والزبيب كذا وكذا وعدة أشياء أخرى إلى أن دخل إلينا أصحابك فانتهبوا جميع ذلك حتى لم يبق لي منه قليل ولا كثير وخربوا منزلي وفرقوا أهلي وولدي وقرابتي فلم أجد أحدا أسكن معه فارتحلت بأهلي بعد أن أخذ عبيدي"[٣٤]. وعلى الرغم من عدم ذكر أعداد العبيد الذين كانوا تحت تصرفه إلا أنه يمكن القول إنه كان يمتلك عددا هاما يقوم بمختلف الأنشطة الفلاحية من حراثة وغراسة وجني ورعي بالأغنام والأبقار التي كان يمتلكها كما تفيدنا هذه الإشارة أن أبا يزيد كان قد اعتمد على العبيد في ثورته لأن النص يورد أن هذه العائلة لم تتعرض إلى السبي.

ولدينا إشارة تعود إلى القرن (الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي) ذكر فيها البكري أن بونة الحديثة التي أسست بعد ٤٥٠هـ كان بغربيها "ماء سائح يسقي بساتينها وهو منتزه حسن..." كما أشار أن "مدينة بونة قرية بحرية كثيرة اللحم واللبن والحوت والعسل وأكثر لحمانهم البقر إلا أنها يصح بها السودان ويسقم البيضان."[٣٥] ويبدو أن أولئك العبيد السود كانوا يقومون بالنشاط الزراعي في تلك البساتين بالإضافة إلى الرعي وتربية البقر.

إن أغلب الإشارات السابقة لم تكن خارج سياقات الأحداث السياسية والاجتماعية التي كانت سائدة وخاصة علاقة السلطة بالمجتمع حيث أحالت المصادر على وجود أزمات سياسية واقتصادية واجتماعية والتي على ضوئها يمكن فهم مسائل على صلة بموضوعنا.

ففي نهاية الفترة الأغلبية نجد إشارات هامة في المصادر وأبرزها ما ذكره ابن عذاري عند حديثه عن سنة ٢٨٠هـ "كان تمنع البلاد ومخالفتها على السلطان إبراهيم بن أحمد وانتزاء من انتزى عليه وذلك أن أهل تونس والجزيرة والأربس وباجة وقمودة خالفوا عليه وقدموا على أنفسهم رجالاً من الجند وغيرهم لأن السلطان إبراهيم بن الأغلب أخذ عبيدهم وخيلهم وجار عليهم فصارت إفريقية عليه نارا موقدة ولم يبق بيده من أعمالها إلا الساحل والشرق إلى طرابلس."[٣٦]

ومن خلال هذا النص ذكر أحد الدارسين أن مصادرة العبيد والخيل كانت في نفس المناطق التي ثارت سنة ٢٠٩هـ وكان كبار الملاكين من الجند العرب يتمركزون في هذه المدن ومن خلال العمل العسكري الذي قام به الأمير الأغلبي في المناسبتين كان الهدف منه كسر شوكة الجند العربي العسكرية في سنة ٢٠٩هـ وفي سنة ٢٨٠هـ قام بتقزيمها اقتصاديا من خلال مصادرة العبيد والخيل وتضاف هذه المعلومة إلى ما ذكرناه سابقا عن استعمال العبيد في الملكيات الكبرى.[٣٧]

وخلال الفترة الفاطمية نجد بعض الإشارات الهامة التي تهتم بنفس الملكيات التي ذكرها ابن عذاري أعلاه، وأوردت كتب الرحلة والجغرافيا مميزات جزيرة شريك على سبيل المثال، فابن حوقل الذي تعود ملاحظاته إلى العهد الفاطمي وتتفق مع الفترة التي تمتع فيها الموالي الصقالبة بملكيات كبرى في هذه المناطق[٣٨]، أورد هذا الرحالة أن: "الجزيرة إقليم له مدينة تعرف بمنزل باشوا واسعة العمل خصبة أوسع من سوسة كل سلطانها دخلا وأكثر منها جباية وأهلا ولها كورة تضاف إليها وغير غلة يعول التجار عليها وبها في غير موضع وخم ظاهر الثقل في مياهها ولا يدخلها غريب إلا مرض وإذا دخلها السودان صلحوا به وصلحت نفوسهم وطابت بالخدمة قلوبهم وجميع الفواكه بها ولباشو أسواق في كل شهر تحضر لأيام معروفة"[٣٩]

وبعد قرن من تأليف ابن حوقل نجد البكري يذكر تقريبا نفس الملاحظات ويقول في هذا الغرض:"جزيرة شريك تنسب إلى شريك العبسي كان عاملا عليها وأم إقليم جزيرة شريك منزل باشو وهي مدينة كبيرة آهلة بها جامع وحمامات وثلاث رحاب وأسواق عامرة وبها قصر أحمد بن عيسى القائم على ابن الأغلب وبجزيرة شريك اجتمعت الروم بعد دخول عبد الله بن سعد بن أبي سرح المغرب...ومن تونس إلى منزل باشو هذا مرحلة بينهما قرى كبيرة آهلة كثيرة وحامة جليلة مجربة النفع ثم من باشو إلى قرية الدواميس مرحلة وهي قرية كبيرة آهلة كثيرة الزيتون والشجر بينهما قصر الزيت ووادي الدمنة وفندق ريحان ووادي الرمان."[٤٠]

كانت أغلب منازل الجزيرة على ملك الموالي الصقالبة ومنهم الأستاذ جوذر الذي كانت له "ضيعة من إقطاع المهدي بالله فاعترض عليه حمزة بن صلوك وكان عاملا على البلد وتسبب إلى رعيته بكل قبيح" ولعل لفظ رعية هنا يفيد العمال الذين كانوا يباشرون العمل تحت إشراف وكيل يمثل السيد المتغيب في هذه الضيعة، كانوا من العبيد مثلما سيتبين لنا ذلك لاحقًا.[٤١]

كما كان لميمون بن فتوح التيفاشي وغانم الكاتب صاحبه منازل على ما يبدو بالجزيرة ذلك أن حاشد البحريين بلخ الصقلي كان قد تعدى على الأراضي الموجودة بفندق ريحان مثلما فعل الصقلي غلام كنون بالكاتب المقيم بمنازل صطفورة[٤٢] وترد إشارة أخرى هامة تتعلق بشكوى رفعها جوذر إلى المعز تتعلق بربيع الصقلي الذي تعدى على ضيعة تعرف بفندق ريحان و تعسف على أهلها وأذل الوكيل الذي هو من قبل الأستاذ جوذر بها وكان ربيع هذا قد خرج لحشد البحريين"[٤٣] كما ورث شفيع الصقلي المنازل التي كانت لميسور بتونس بعد موافقة المعز شرط أن يدفع كل سنة الضرائب الموظفة على الإقطاع.[٤٤]

إن أغلب هذه الملكيات تقع في المناطق الخصبة ولعل ذلك ما يوضح في جانب كبير منه تلك النزاعات والصراعات التي كانت بين الموالي الصقالبة دون أن تذكر هذه النصوص التي أشرنا إليها وجود يد عاملة من العبيد لذلك يبدو من المنطقي أن نطرح السؤال الذي يعنينا والمتعلق بحضور العبيد في النشاط الزراعي بعدما قدمنا المعلومات التي على صلة بملكيات مختلف الأراضي الهامة الموجودة في كل من جزيرة شريك وتونس وصطفورة وبقي لنا الإشارة كذلك إلى ملكيات كبرى أخرى لم نذكرها ولكن ذكرت في نصوص أخرى وما سنحاول تقديمه على صلة بصفة خاصة بأعداد العبيد الذين كانوا يكدون في الملكيات الكبرى المذكورة وغيرها وسنقوم بذلك اعتمادا على نصوص مصدرية متداخلة ولكنها قدمت لنا معلومات في غاية الأهمية لأنها ساعدتنا على فهم عديد القضايا المتعلقة بالعبيد المستخدمين في الزراعة.

### ١/٤-أعداد العبيد المشتغلين بالفلاحة

من الصعب معرفة العدد الحقيقي للعبيد الذين اشتغلوا في الزراعة غير أننا سنحاول الإجابة عن هذا السؤال استنادا إلى بعض الإشارات الهامة التي نعتقد أنها مفاتيح أساسية لفهم هذا الإشكال، وإذا كانت المسألة تتعلق أساسا بأعداد العبيد من السود والصقالبة على حد سواء الذين وفرتهم التجارة والحرب خلال الفترة الممتدة من القرن الثاني الهجري إلى منتصف القرن الخامس فإننا نجد أنفسنا أمام تتبع الإشارات النادرة في المصادر لمعرفة حقيقة الواقع.

ذكر ابن عذاري أنه "في سنة ٢٧٩هـ قتل إبراهيم بن أحمد...جميع فتيانه وسبب ذلك أنه كان كثير الإصغاء إلى قول المنجمين والكهنة وكانوا قالوا له إنه يقتله رجل ناقص العقل وأنه يمكن أن يكون فتى فكان إبراهيم إذا رأى أحدا من فتيانه فيه حركة ونشاط وحدة يتقلد سيفا قال: "هذا هو صاحبي" فيقتله فلما قتل منهم جماعة وقع بقلبه أنه قد استفسد إليهم فضمه الحذر منهم إلى قتل جميعهم فقتلهم في هذا العام واستخدم عوضا عنهم السودان ثم عرض لهم منه ما عرض للفتيان الصقالبة: فقتل السودان أجمعين.[٤٥]

وبعد سنة من هذه الحادثة أورد ابن عذاري أن إبراهيم ابن أحمد قام بمصادرة العبيد الذين كانوا في أهم المدن بإفريقية وذكر أن : "فيها(سنة٢٨٠هـ) كان تمنع البلاد ومخالفتها على السلطان إبراهيم بن أحمد وانتزاء من انتزى عليه وذلك أن أهل تونس والجزيرة والأربس وباجة وقمودة خالفوا عليه وقدموا على أنفسهم رجالا من الجند وغيرهم لأن السلطان إبراهيم بن الأغلب أخذ عبيدهم وخيلهم وجار عليهم فصارت إفريقية عليه نارا موقدة ولم يبق بيده من أعمالها إلا الساحل والشرق إلى طرابلس فحفر حفيرا حول رقادة ونصب عليه أبواب حديد وجمع إلى نفسه ثقاته وقرب السودان من قصره وقد كان جمع منهم خمسة آلاف أسود"[٤٦]

وفي السنة نفسها (٢٨٠هـ) قامت قمودة وتونس وجزيرة شريك وصطفورة على الأمير الأغلبي فجهز لهم ميمون الحبشي وكانت وقائع انجلت عن فتح تونس عنوة وذلك أن أهل قمودة تحركوا لقتال إبراهيم ابن الأغلب فأخرج إليهم ميمونا الحبشي فقاتلهم حتى انهزموا وقتل جماعة منهم ثم فعل أهل تونس فهزمهم ميمون أيضا وهزم أهل الجزيرة وصطفورة وقتل منهم كثيرا حتى سيق القتلى في العجل إلى القيروان ثم دخلت تونس بالسيف لعشر بقين من ذي الحجة فانتهبت الأموال وسبيت الذرية واستحلت الفروج."[٤٧]

### كيف يمكن استغلال المعلومات الواردة في النصوص التي ذكرناها في علاقة بالإشكالية التي نبحث فيها؟

ما نلاحظه في هذين الخبرين الأخيرين أن الأمير الأغلبي قام بمصادرة عبيد وخيل كل من تونس والجزيرة والأربس وباجة وقمودة ثم يذكر في آخر النص الأول أن الأمير الأغلبي "قرب السودان من قصره وقد كان جمع منهم خمسة آلاف أسود" و نجد في النص الثاني إشارة إلى أن الأمير الأغلبي ثار عليه كل من قمودة وتونس وجزيرة شريك وصطفورة وهو ما يعني أن كل من باجة والأربس لم ينظما حسب النص إلى المتمردين على الأمير الأغلبي في حين تضاف صطفورة للمنتفضين وهو ما يقودنا إلى إمكانية احتمال أنه تم تجريد كل من باجة والأربس من كل العبيد والخيل في حين لم يقم بذلك العمل كاملا في المناطق الثلاث المتبقية وهي تونس وجزيرة شريك وقمودة.

وأشارت المصادر أن فحص تونس الذي تسميه ببوادي تونس و المتمثل خاصة في بلاد مرناق والذي أقطع لأحد قواد الجيش الفاتح وكانت تعد نحو ٣٦٠قرية حسب البكري وكان الأمير الاغلبي قد استولى على قرية إبيانة وسلمها إلى عبيده الذين قاموا بتخريبها سنة ٢٧٥هـ[٤٨] وهو ما يعني أن هذا التمرد من قبل تونس كان ردة فعل عنيفة قد أدت سنة ٢٨٠هـ إلى مصادرة كل عبيد الملكيات الأخرى وهو ما أدى إلى التمرد وربما تم كذلك التعدي إلى صطفورة لأجل نفس الغرض، كما يمكن القول أن بعض الملاكين الكبار كانت لهم ضيعات أخرى موجودة بتونس وصطفورة وهو ما أدى إلى استباق الأمر خوفا من مصادرة بقية عبيدهم ونعتقد في هذا السياق أن المواجهات لم تكن على ما يبدو يقوم بها السكان وإنما العبيد هم الذين يقومون بذلك نيابة عن أسيادهم أما قمودة التي ثارت فيبدو أن وضعها بقي مثل كل من جزيرة شريك وتونس.

ولكي نفهم عدد العبيد الذين كانوا ولو بصفة تقديرية في هذه المناطق التي تعرضت للمصادرة فإن المصادر ذكرت أنه زمن ثورة الطنبذي ٢٠٩هـ تم جمع ١٠٠٠عبد من قسطيلية من قبل المتمردين على السلطة الأغلبية وما نلاحظه أن هذا العدد ١٠٠٠ ذكر في مناسبتين-إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن عدد العبيد المصادرين من المدن الخمسة السالفة الذكر كان ٥٠٠٠ عبد وهو الأقرب إلى الواقع، ذلك أننا نعلم أن الأمير الأغلبي تخلص من كل عبيده السود والصقالبة حسب المصادر ويمكن القول أن "ثورة الزنج" على ما يبدو كان لها صدى ببلاد المغرب إذ تشير المصادر إلى هروب ٥٠٠٠عبد من الثوار وهو ما يطرح تساؤلا حول هذا الرقم كما أن الثورة لم يتم القضاء عليها إلا في سنة ٢٧٠هـ[٤٩] وبعد عشر سنوات قام الأمير الأغلبي بمصادرة العبيد والخيل وبالتالي فإن ما أشير إليه أن إبراهيم الثاني كان يصغي إلى المنجمين الذين ذكروا له بأن قاتله سيكون عبدا ليس مستبعدا لأن ثورة الزنج أثرت بالفعل في الواقع العباسي وحتى ببلاد المغرب على ما يبدو.

**إن هذه الاستنتاجات تبدو مبالغ فيها ولكنها مقبولة إلى حد ما فكيف يمكن تدعيمها من خلال نصوص أخرى تعود إلى الفترة الفاطمية والصنهاجية؟**

تشير المصادر إلى ظهور خطة في بداية العهد الفاطمي تسمى "حاشد السودان والبحريين" فما معنى هذه الخطة وهل هي جديدة بالفعل أم هي تواصل لموروث أغلبي وربما يعود إلى فترة الولاة؟

تبدو هذه الخطة غامضة ولكن تعني كلمة حاشد الشخص المكلف بجمع العبيد السودان والبحريين بالقوة وللأسف نجد معلومات كذلك قليلة تخص هذه المسألة وسنورد بعض ما ورد في المصادر، ولكن لدينا سؤال مركزي يتمثل في الأسباب التي تدفع السلطة لحشد العبيد السود والبحريين؟ ما هي النصوص التي أشارت إلى هذه الخطة وكيف يمكن ربط هذه الخطة بالأفكار التي أوردناها سابقًا؟

بالنسبة إلى النّصوص التي أوردتها المصادر فسنذكرها تباعا، فالمالكي أشار في مؤلفه رياض النفوس:"ذكر الشيخ أبو علي حسن بن حمود التونسي المعروف بالفوني قال: حدثنا أن عبيدا الذي بنى المهدية أخرج من المهدية صقلبيا له عنف وسلطة ووجه مع عسكر لحشد البحريين والزويليين فحشد من تونس وباديتها وصطفورة خلقا عظيما وجاز بهم على قصر الحامة فوجد قوما من أهل القصر يسقون على البئر فقرمهم (سبهم) فجرى أهلوهم إلى عمرون الأسود الحامي (ت٣٣٩هـ) مستغيثين به فخرج عمرون وقطع قدام الصقلبي الخيل وأشار بعصاه فانهزم الصقلبي وخيله...ووصل الصقلبي إلى المهدية وليس أحد معه من المحشودين.."[٥٠]

ويضيف المالكي: "قال لي أبو رزين الأسود الجمونسي المتعبد الساكن بجمونس (ت٣٣٧هـ) حشدني حاشد السودان قديما إلى رقادة فبذل أهل البلد للحاشد دينارين ليتركني فأبى بكل حيلة فأخذني ومضى بي إلى رقادة وأبو معلوم الكتامي يسمي الناس المحشودين فلما قربت منه نظر إلي وقال: مَنْ أمركم أن تجيبوا هذا؟ وهو لا يعرفني وقال: جيبوا دواة وقرطاسا وكتب يا معشر الحشاد لا تعرضوا لأبي رزين هذا في أي بلاد كان وأطلقني وأمر بالحاشد أن يعلق ويضرب"[٥١] وأشار مؤلف مناقب أبي إسحاق الجنياني "قال أبو القاسم: حل بالموضع حسنون الذي كان حاشدا وصاحب أسطول السلطان في عسكر عظيم وصقالبة ومعه خلق من البحريين والزويليين في السلاسل."[٥٢] ويضيف "وكنا أوينا إلى قصر بقرب جنيانة فخرج إلينا رجل فنظرنا من أعلى القصر حتى رأينا السودان يخرجون من ناحية جنيانة"[٥٣] أما سيرة جوذر فأوردت الخبر التالي "وكان قد أخرج عليه السلام صقلبيا على يد حسن بن رشيق في تحريك العبيد الزويليين إلى الباب الطاهر وكان من فعل الصقلبي في المنازل التي للأستاذ ما لا يجب فكتب إلى مولانا صلوات الله عليه يعرفه بذلك وأفرط في الشكية[٥٤]

ومع بداية الفترة الصنهاجية أشار ابن عذاري أنه "في شهر الحجة من سنة ٣٦٥هـ أمر أبو الفتوح العامل على إفريقية واليه عبد الله بن محمد الكاتب أن يقيم أسطولا معدة من الرجال والسلاح فخرج عبد الله إلى المهدية وأخذ في حشد البحريين في كل بلدة وأمر أن يؤخذ كل من لقي منهم بالقيروان وغيرها وملأ بهم السجون وأدرك خاصة البلد وعامّتهم من الخوف ما لزموا له البيوت وانتهى حالهم إلى أنه إذا مات أحد عندهم لا يخرجه إلا النساء"[٥٥] ولا نستبعد تواصل نفس هذه العادة في الفترات اللاحقة ذلك أن الأمير المرابطي علي بن يوسف التجأ سنة ٥٢٣هـ إلى مالكي العبيد لدعم جيشه فـ "قسّط على الرعية سودانا يغزون في العساكر وكان قسط أهل فاس منها ثلاثمائة غلام من سودانهم برزقهم وسلاحهم ونفقاتهم"[٥٦]

إن المعلومات الخاصة بعملية حشد العبيد هي التي تمكننا من فهم مسائل هامة على صلة بالموضوع الذي نبحث فيه ويتعلق الأمر أساسا بمدى مطابقة المناطق التي ثارت ضد إبراهيم ابن الأغلب والطريق الذي اتبعه حاشد السودان والبحريين.

إذا حاولنا اعتماد النصوص المتوفرة والمتعلقة بالحشد الذي تحدثت عنه المصادر نجد في مناقب أبي إسحاق الجبنياني إشارة إلى خروج الحاشد من المهدية وعند وصوله إلى منازل جبنيانة يذكر أن العبيد الصقالبة والسود كانوا مصفدين في السلاسل وهو ما يعني أنه تم جمع العبيد من منازل أخرى تقع بالقرب من المهدية ثم ذكر العبد المتعبد أنه تم حشده من جمونس الصابون الموجودة اليوم بولاية سيدي بوزيد وهي أراضي كما هو معلوم فلاحية ونجد بعد ذلك إشارة إلى الحامة والجريد بصفة عامة كما نشير أن الفقرة التي تحدثت عن جمونس الصابون تشير إلى حشد العبيد إلى رقادة حيث كان يتم تسجيل الأسماء على ما يبدو وما يمكن استنتاجه هو التالي:

تبدأ عملية الحشد بالخروج من المهدية باتجاه الملكيات الموجودة في جنوب العاصمة الفاطمية ويتبع الحاشد الطريق التالي: المهدية-جبنيانة- جمونس الصابون-واحات الجريد ثم التوجه إلى رقادة بالقيروان ومنها يمكن أن يسلك الطريق باتجاه المهدية حيث تكون أمامه أغلب الملكيات الموجودة في الساحل والمتمثلة في المسروقين ومنزل بني هنغلات وصولا إلى المهدية ويمكن أن نعتبر هذا هو الطريق الجنوبي الذي يسلكه الحاشد.

أما الطريق التي تخرج باتجاه الشمال فتكون من المهدية-سوسة-منزل باشو-تونس-صطفورة-باجة-الأربس-القيروان-المهدية وبناءا على ذلك يمكن القول إن الحشد كان يقوم به أكثر من واحد حيث ذكر في مناقب الجبنياني اسم حسنون وريان الصقلبي في فندق ريحان وصطفورة ويلتقي الحاشدان في القيروان ليعودا سويا إلى المهدية.

وبالعودة إلى النص الثاني للمالكي المذكور أعلاه شد انتباهنا معلومة هامة تذكر أن الحاشد "أبو معلوم الكتامي يسمي الناس المحشودين" وتفيد هذه الإشارة أن هناك تدوين بأسماء العبيد المحشودين وهو ما يقودنا إلى بعض الاستفسارات لماذا يتم تسجيل أسماء العبيد السود والصقالبة؟

أوردت الرواية أن صاحب الخبر هو عبد معتوق أصبح متعبدا وتوفي سنة ٣٣٧هـ ويبدو هذا التاريخ غير بعيد عن حدث هام وقع سنة ٣٣٦هـ وتمثل في نهاية ثورة أبي يزيد الذي اعتمد على العبيد كما بيّنا سابقا.

وأورد النص الآخر الخبر المتعلق بحشد البحريين والزويليين في نفس الفترة تقريبًا حيث تذكر الرواية تدخل أحد العبيد المعتوقين كذلك لدرء خطر أحد الصقالبة في مدينة الحامة الذي كان معه عدد هام من العبيد السود والصقالبة وهو ما يعني كذلك أن عمليات الحشد كانت تتم حسب حاجة الدولة إلى أولئك العبيد وبالتالي فإن العبيد الذين كانوا في خدمة الملاكين الكبار لم يكونوا دائما تحت يد مالكيهم وهو ما يعني أن عبيد الزراعة هم أنفسهم يقومون بالعمليات العسكرية إلى جانب القواد المخيرين من الصقالبة أو من السود إذا استثنينا أعدادا من العبيد الحرس الذين كانوا في القصور وهو ما يقودنا إلى الحديث عن عمليات استنجاد السلطة بهؤلاء في أي وقت شاءت.

تقودنا الإشارات التي ذكرها ابن عذاري وغيرها من المصادر كذلك الإجابة عن أسئلة أخرى بعدما تأكد لنا وجود عدد هام من العبيد السود والصقالبة في العمل الفلاحي، أن خطة حاشد العبيد تحيلنا على علاقة السلطة بالمجتمع من خلال عمليات التوتر التي كانت نتيجة مصادرات الملكيات الكبرى أو كذلك مصادرة للعبيد الذين كانوا على ذمة الإقطاعيين وهو ما حدث في الفترة الأغلبية والفترة الفاطمية والصنهاجية.

إن هيمنة السلطة خلال كامل الفترة المدروسة يقودنا إلى الاعتقاد أن العبيد الذين كانوا يوردون من بلاد السودان وعبر الأندلس وصقلية كانوا في جزء كبير منهم خاضع لإشراف الدولة أو تحت رقابتها وهو ما يخول للتجار العاملين بهذا القطاع يكونون في غالب الأحيان تحت رحمة تصرف الدولة

ومـوالين لهـا وهـو مـا يعـني أننـا إزاء إشـكال آخـر يتمثـل في المشرف على عمليات شراء العبيد الذين سيكونون تحت تصرف الدولـة وهـي إشـارات لا نجـد لهـا أي أثـر وإنمـا تكتفـي المصـادر بالحـديث عـن "شراء" العبيـد و"اتخـاذ المماليـك" إذا مـا اسـتثنينا سنة ٣٧٣هـ حيث تـذكر المصادر أن عبد الله بـن محمد الكاتب عامل إفريقية أشرف بنفسه على شراء العبيد من السودان.[٥٧]

ومـا يمكـن قولـه أن هنـاك حلقـات مسترسـلة في انتقـال السلطة من الأغالبة إلى الفاطميين ثم الصنهاجيين حيث تم الاعتمـاد عـلى نفـس السياسـة الأغلبيـة وربمـا سياسـة الـولاة أنفسهم وتتمثل في شراء العبيد من قبل الدولة وتقول المصادر أنـه تـم في بدايـة الحكـم الفـاطمي اتخـاذ العبيـد السـود والـروم وأشار ابـن الخطيـب إلى شراء ١٢٠٠٠عبـد رومـي وحبشي. ونعلـم أن الفاطميين بقـوا بإفريقيـة إلى سنة ٣٥٨هـ ممـا يعـني أن نفـس العبيد تقريبا بقوا إلى آخر الوجود الفاطمي بالإضافة إلى احتفاظ الفاطميين بعدد هام من العبيد الذين كانوا للأغالبة.

وتخبرنا المصادر أن هناك تزامن بين شراء العبيد من قبل الفاطميين وظهـور خطـة "حاشـد العبيـد" فمـاذا يعـني ذلـك؟ ألا يحيلنا هذا إلى أن الدولة كانت تشتري العبيد وتقوم ببيعهم إلى أغلب الملاكين الكبار ثم تستدعيهم لأي عمل أرادت من خلال الحشـد الـذي كـان يقـوم بـه الصقالبة عـلى وجـه التحديـد حسـب المصادر؟ وهـل يمكـن القـول أن العـدد الكبيـر مـن العبيـد كـانوا يقومون بالنشاط الزراعي والحربي في نفس الوقت.؟[٥٨]

وخلاصـة القـول إذن أن وظيفـة الحشـاد ظهـرت مـع بدايـة الفـترة الفاطميـة واتبعـت طريقـة "المصـادرة" الـتي توخاهـا الأغالبـة ولكـن الحشـد هـو بمثابـة "حـرب اسـتباقية" تقـوم بهـا السلطة ضد أصحاب الملكيات الكبرى وذلك يعني أساسًا أننا إزاء عملية استعادة نفس النهج الذي سلكه الأغالبة وبالتالي فإن الحشد كان مسبوقًا بمعرفة دقيقة لعدد العبيد الذين كانوا عـلى ذمـة الملاكـين الكبـار مثلمـا ذكـر نـص المـالكي أن الحاشـد "يسمي الحشاد" وربما يعني هذا اللفظ أنه يتم تسجيل أسماء العبيد لأنه يجب أن يكونوا لفائدة الدولة أولا وهو ما يمكن أن نسـميه الإقطـاع عـلى شـاكلة مغـايرة لمـا تعـارف عليـه في المشرق.

إن تقـزيم دور الإقطـاعيين الكبـار مـن خـلال عمليـة مراقبـة للعبيد بشكل دوري يفيدنا في مسألة هامة جدا تتمثل في الآتي: السلطان هـو السيد الأوحد إلى جانب حاشيته والمقربين جدا منه ولعل ذلك ما يبيح لنا القول أن استعمال اليد العاملة من العبيـد كـان يـتم تحـت إشراف الدولـة وهـو مـا يعـني كـذلك أن الضـرائب الموظفـة عـلى امـتلاك العبيـد والـتي أشـار إليهـا القابسي[٥٩] تعني أن هناك نقص في عدد العبيد كما يمكن أن تدلنا هـذه الإشـارة إلى أن الدولـة هـي الـتي تبيـع العبيـد أو تقـوم بكرائهم إلى هؤلاء الملاكين الكبار وإن كانت استنتاجاتنا ربما مغال فيها فإن الواقع من خلال النصوص يبدو كذلك.

ويبـدو أن أعـداد العبيـد السـود قـد شـهد بـين فـترة وأخـرى تراجعـا ملحوظـا وقـد ارتـبط ذلـك في جـزء كبـير منـه بالظـروف السياسـية والاقتصـادية والتغـيرات الـتي طـرأت عـلى المجـال الإفريقـي بالإضـافة إلى التطـورات الداخليـة للمجتمـع الإباضي نفسـه الـذي كـان قـد مـر بعـدة هـزات نتـاج الصـراعات داخـل المذهب.

يمكـن القـول إن الاعتمـاد عـلى اليـد العاملـة مـن العبيـد بإفريقية و بلاد المغرب كان قد شهد فترات مد وجزر متباينة ومثلما بينا سابقا فإن فترة الولاة بصفة خاصة وبداية الفترة الأغلبية كانت اليد العاملة من العبيد حاضرة في عديد الأنشطة الفلاحيـة في منطقـة كانـت تعتمـد عـلى الإنتـاج الفـلاحي أساسـا مثل تربية الماشية بمختلف أصنافها وتربية الجمال وسيلة النقل الأساسية في تلك الفترة وخاصة بالجريد وجبل نفوسة وحيث توجد السباخ كما كانت الواحات مجالا هاما لاستغلال العبيد السود بالإضافة إلى جني الزيتون وحراثة الأرض والحصاد وزراعة الأشجار المثمرة في كل من الساحل والقيروان وجزيرة شريك وتونس وصطفورة وباجة وهذه الاستنتاجات كان قد أكد عليها كذلك كل من الأستاذين محمد الطالبي والهادي التيمومي غير أنه ابتداء على الأقل من فترة إبراهيم ابن أحمد الأغلبي اتبعت الدولـة عـلى مـا يبـدو سياسـة أخـرى تمثلـت في احتكـار امـتلاك العبيد وكرائهم أو بيعهم إلى الملاكين الكبار الذين يبقون دائما تحت رحمتها.

وفرض ذلك الوضع على الملاّكين الكبار اللجوء رغما عنهم إلى يد عاملة بالإجارة أو كذلك الشركات الفلاحية وهو ما يعني أن مختلف أوجه استغلال الأرض كان مرتبطا بالدولة باعتبارها هـي المالكـة الوحيـدة لـلأرض وهـي الـتي تقسّـط عـلى النـاس أرزاقهـم ولعـل الإشـارات الـتي نجـدها في كتـابات الفقهـاء إلى الشرـكة ومختلـف طـرق اسـتغلال الأرض تحيـل إلى ارتبـاط التشريع بالسّلطان وتعكس تلك الكتابات واقع الفترة كما ترشدنا إلى تعقّد الملكية بإفريقية[٦٠].

## ثانيًا: العبيد وبناء المنشئات العامة

من المؤكد مشاركة العبيد في عمليات البناء والتشييد حيث أشارت المصادر إلى مساهمة العبيد في بناء مدينة تاهرت الإباضية وتحدث الشماخي عن عبد الرحمان بن رستم مؤسّس الإمارة قائلا: "كان فوق دار يطينها والعبيد يناولونه الطين."[٦١] ويبدو أن الأغالبة اعتمدوا على العبيد كذلك في بناء القصور والمرافق العامة في المدن مثل بناء القصر الأبيض من قبل الأمير الأغلبي إبراهيم ابن عبد الله (١٨٤-١٩٧هـ/٨٠٠-٨١٢م) الذي استعمل لهذا الغرض خمسة آلاف عبد أسود كما قام هؤلاء على ما يبدو ببناء الأسواق والحمامات والجوامع ودار ضرب العملة والثكنات العسكرية في العباسية[٦٢]. ونسب إلى الأمير أبي إبراهيم أحمد ٢٤٢-٢٤٩هـ بناء عديد الحصون التي قدرت بـ ١٠آلاف حصن وليس مستبعدا أن يكون العبيد قد ساهموا في بناء تلك الحصون حيث اشترى العبيد في نفس الفترة [٦٣]. وذكرت النقائش أسماء بعض الخدم والموالي الذين أشرفوا على عمليات الترميم والبناء.[٦٤]

ولا شك أن الفاطميين قد استعملوا العبيد كذلك لتشييد المباني العامة للخلفاء مثلما أشارت إلى ذلك المصادر حيث تم اعادة استعمال مواد بناء قديمة[٦٥] إضافة إلى مد القنوات وبناء الخزانات التي شارك فيها العبيد على ما يبدو. [٦٦]

خلاصة القول إذن، أنّ فترة العصر الوسيط المبكّر تميّزت من خلال عرضنا السابق بكثرة عدد العبيد السود وتم استخدام قوة عملهم في بناء مختلف المنشئات التابعة للدولة أو الكيانات السياسية الخارجية التي أسست قبل الدولة الأغلبية كما يعود الفضل إلى العبيد السود على ما يبدو في بناء المرافق الدينية والمدنية للمدن التي تواجدت على الطرقات التجارية مثل بلاد الزاب والجريد وقد واصل كل من الفاطميين والصنهاجيين اعتماد اليد العاملة من العبيد السود أساسا والعبيد الصقالبة في البناء والتشييد وحتى وإن كانت المعلومات التي ذكرتها المصادر في هذا الغرض لا تفي بالحاجة لتأكيد ما ذهبنا إليه إلا أن الإشارات التي أوردتها المصادر تجعلنا نعتقد أن حضور العبيد كقوة عمل في مختلف أشغال البناء ليس مستبعدا نظرا لأعدادهم الهامة التي كانت تخول للدولة الالتجاء لهم قصد استعمالهم في تنفيذ مشاريعها دون مقابل وفي أسرع وقت ممكن وهذا ما يجعلنا نأسف لعدم وجود معلومات تتعلق بحظائر البناء والحياة اليومية للعبيد والمأكل والملبس وطرق العمل المتبعة ومعاملة العبيد.

## ثالثًا: العبيد والنشاط الحرفي

استفاد أصحاب الحرف على ما يبدو من وفرة عدد العبيد بإفريقية خلال الفترة التي تعنينا (من فترة الولاة إلى العصر الفاطمي) وكانت قوة عملهم توفر بدون شك أرباحا هامة للسيد كما جسّد العبيد حلقة ربط بين أصناف مختلفة من الأذواق بحسب أصولهم الجغرافية ومن ناحية أخرى فإن القيام بالنشاط الحرفي كان يتطلب المهارة الكافية وهو ما يدعونا إلى القول إن العبيد قد صنفوا آنذاك حسب معرفتهم بالحرف التي يتقنونها.

ذكرت لنا المصادر بعض الإشارات التي تتعلق بالعبيد الحرفيين خاصة في الفترة الفاطمية وقد ذكر القاضي النعمان بعض الرسائل التي بعث بها الخليفة المعز إلى نظيره الأموي الناصر وما شد انتباهنا في هذه الرسالة افتخار الأموي بما يحاك له في بلد الأندلس من الخز والوشي وأصناف الثياب فرد المعز "ولو كان ذلك مما يفخر بمثله لكان عندنا من الطراز أنواع الأعمال البديعة والصنعة العجيبة لا يشك من رآه أنه ما رأى مثله مما يعمله عبيدنا الذين أفاء الله عز وجل بهم علينا من سبي الروم بأسيافنا دون من فخر هو بمثله من سائر الرعايا".[٦٧]

وأشارت المصادر إلى وجود صنفين من العبيد يقومون بصناعة الطراز:

**العبيد الرقّامين**: الذين طلب منهم الخليفة المعز تثبيت اسم أحد مواليه المخلصين جوذر في الطراز بالذهب فيما يلبسه الأئمة.

**العبيد الحصريون**: الذين تميزوا بإتقانهم الكبير لعملهم "المعجزة" على حد تعبير الجوذري في سيرته الذي أضاف أن "أمير المؤمنين المنصور بالله معجبا بأعمال هؤلاء العبيد وكثيرا ما كان يأمر بحفظهم ويقول: "إن أعمالهم رياض مؤنقة"[٦٨]

ولعل أهمية تلك المنسوجات المحكمة الصنعة والراقية يمكن أن تساعد على دراستها من جوانب عديدة لأنها تحتوي على تاريخ الصنع ومكانه (المهدية آنذاك) واسم المولى المكلف بالإشراف على العبيد الحرفيين وربما كان بعض العبيد قد تجرأ لكتابة اسمه أو أصله أو أي علامة تساعد على استقرائها غير أننا لا نعلم هل بقي منها نماذج أم أتلفها الزمن.[٦٩]

وعلى الرغم من الإشارات النادرة الخاصة بأولئك العبيد إلا أن أوضاعهم الاقتصادية والدينية وظروف عملهم كانت بدون شك مزرية وقد ذكرت لنا سيرة جوذر أنه "رفع إلى مولانا عليه السلام أن وصفاء من الرقامين كانوا قد أسلموا ثم ارتدوا عن

الإسلام" وخاطب المعز مولاه جوذر بأن يكتب "إلى **نصير** بأن يقبض على **هؤلاء المرتدين** ويسجنهم ويشهد عليهم العدول فإن رجعوا إلى الإسلام أشهد عليهم وأطلقهم وإن أقاموا على **النصرانية** جدد الأعذار إليهم والإنذار لهم مرات في أيام مختلفة فإن عادوا إلى غيهم أخرجهم وقطعهم إربا إربا على أعين الناس أجمعين ليكون شنعة لغيرهم ويعرفهم في حين الإنذار في الأوقات الثلاثة أنهم إن أصروا كانت هذه عاقبتهم ثم يكون العمل من بعد على ما ذكرنا إلا أن يتوبوا إن شاء الله."[٧٠]

**عبيد المنسج**: لا شك أن عددًا كبيرًا من الخدم والجواري كانوا يستغلون في الأعمال الحرفية التي يتقنها العبيد حيث تدر أرباحا على السيد وكان الفقهاء قد فضلوا العبيد الذين لهم مهنة على غيرهم ونظرا لوفرة المواد الرئيسية لحرفة النسج (الصوف، والوبر) فإن المدن والقرى استغلت معرفة العبيد بتلك الحرفة التي كانت تدر على السيد أموالا هامة ولدينا مثال على ذلك في إحدى المناطق البربرية التي تميزت بنسج حاجياتها وتصدير منتوجها وأشارت المصادر إلى وجود عدد من الجواري كن يشتغلن لحساب امرأة من جبل نفوسة وكان عددهن ثلاثة عشر جارية كن خلف المنسج وكانت السيدة "الصالحة" قد أعتقتهن حسب النص تكفيرا عن ذنب ارتكبته[٧١].

ويبدو من خلال العدد المشار إليه أن هناك بدون شك جوار أخريات كن مثل زميلاتهن في منازل أخرى سواء في المناطق الخارجية أو السنية أو خلال الفترة الشيعية وأدى هذا الاختلاف المذهبي إلى تنوع في المنتوج الحرفي عامة، مثل الموروث البربري الذي بقي محافظا عليه في المناطق "الطرفية" لإفريقية ولا يزال إلى اليوم موجودا في ذات المناطق أما المناطق السنية فنعني بها أساسا ما تم جلبه من قبل العرب الفاتحين وخاصة بعدما تم ترتيب الأسواق وتقسيمها في مدينة القيروان منذ فترة حكم يزيد ابن حاتم.

**العبيد المشتغلين بالسكة**: وتذكر لنا المصادر منذ الفترة الأغلبية وكذلك العهد الفاطمي أن عبيدا اشتغلوا في دور السكة وتركت العملة الأغلبية أغلب أسمائهم باعتبارهم مشرفين على ضرب العملة حيث وجد اسم موسى الذي كتب اسمه أسفل اسم إبراهيم الأول واسم مسرور الذي كتب اسمه أسفل اسم زيادة الله الأول وخطاب الذي كلف به الأمير الأغلبي على حد عبارة المصادر حيث وجد اسمه مكتوب في العملة أسفل اسم زيادة الله الثالث أما في الفترة الفاطمية فقد عرف علوش السكاك الذي كان يقوم بسك العملة[٧٢].

كما اشتغل العبيد في العديد من الحرف الأخرى ومنها استخراج النحاس والذهب إضافة إلى استخراج الملح مع الإشارة أن سحنون بن سعيد كانت له ملاحة يعمل بها العبيد، كما عمل الرقيق في صناعة الخبز وصناعة المراكب وجلب الخشب كما عمل الصقالبة في صناعة نوع من المراكب يعرف بالصنادل وغير ذلك من الحرف الأخرى[٧٣].

## خَاتِمَةٌ

حاولنا في هذا العرض أن نبين إلى أي مدى تم الاعتماد على العبيد في النشاط الزراعي والبناء والحرف وتناولنا المسألة انطلاقا مما وفرته لنا المصادر فتبين لنا أهمية حضور العبيد في مختلف تلك الأنشطة الاقتصادية كما حاولنا الإجابة على العديد من الأسئلة.

كان استغلال العبيد متفاوت الأهمية في الأنشطة التي ذكرناها، ولكن الملفت للانتباه حضور العبيد منذ فترة الولاة ثم في الفترات اللاحقة حيث أصبحت التشريعات تكتسي صبغة خاصة في الحديث عن العبيد نظرًا لوجود نظام عبودي جديد يتلاءم مع ثقافة العرب المسلمين الذين فتحوا إفريقية واستقروا بها وبالتالي ربط إفريقية وبلاد المغرب بالمشرق من خلال طرق استغلال العبيد والأرض.

لقد ساهمت أعداد مهمة من العبيد في مختلف الأنشطة الزراعية كما ظهرت عديد الملكيات الكبرى التي استحوذ على أغلبها في البداية "الأرستقراطية "العربية ثم تحولت تلك الملكيات إلى ملاكين عقاريين آخرين ومن بينهم الصقالبة في الفترة الفاطمية وهو ما يحيل على تغير الملاكين العقاريين وتواصل طرق استغلال تلك الأراضي مستخدمين في ذلك العبيد السود بشكل خاص.

وتبقى فرضية وجود أعداد هامة من العبيد السود والبيض في المجتمع خلال الفترين الأغلبية والفاطمية فرضية صحيحة وخاصةً في النشاط الزراعي حيث الملكيات الكبرى في الجنوب والوسط والشمال مثلما حاولنا أن نبين ذلك لنؤيد ما ذهبت إليه آراء الباحثين من قبلنا وهو ما يعني يمكن أن نميز بين أصناف العبيد حيث وجد العبيد الريفيون والعبيد الحضريون إضافة إلى توزع استغلال العبيد في مختلف الأنشطة الحرفية التي كانت موجودة بإفريقية ما بين القرن الأول والقرن الرابع الهجري.

## الاحالات المرجعية:

(١) المالكي (أبو بكر عبد الله بن محمد)، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، تحقيق بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤، الجزء الأول، ص٥٧.

(2) Talbi (M), « Droit et économie en Ifriqiya au III/IX siècle. Le paysage agricole et rôle des esclaves dans l'économie du pays », in, Etudes d'histoire ifriqiyenne et de civilisation musulmane médiévale, publication l'Université de Tunis, 1982, p.185-229.

انظر كذلك: بنحمادي (عمر)، **"بعض المنعرجات الهامة في أوضاع الملكيات الزراعية في إفريقية في فترة تاريخها الوسيط"**، مجلة دراسات تاريخية، عدد ٤٣-٤٤، مارس-جوان،١٩٩٢، ص٨٣-١٠٤.

وأكد الأستاذ الهادي التيمومي أن "نمط الإنتاج المخامسي قام على أنقاض نمط الإنتاج العبودي..." وفسر موقفه هذا بناء على ما ذكره الطالبي في مقاله المشار إليه أعلاه وأضاف أن "الإسلام وقف ضد شد المزارعين إلى الأرض وبالتالي ضد الفيودالية التي نشأت في الولايات الإفريقية منذ أواخر العهد الروماني وهو ما مكن العبودية من العودة من جديد وبقوة" انظر: التيمومي(الهادي)، الغائب في تأويلات "العمران البشري" الخلدوني، دار محمد علي للنشر، صفاقس،٢٠٠٧، ص٣٠-٣٥.

(٣) بقي نمط الإنتاج في الفترة البيزنطية غامضًا مثلما عبر عنه الأستاذ محمد الطاهر المنصوري بقوله: "يجد الباحث صعوبة كبيرة في تحديد نمط الإنتاج السائد في منطقة إفريقيا البيزنطية" انظر: المنصوري (محمد الطاهر)، **"ملامح بعض الفئات الاجتماعية بإفريقية في العهد البيزنطي"**، ضمن كتاب، **المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي**، إعداد مجموعة من الباحثين، تنسيق الهادي التيمومي، بيت الحكمة، قرطاج تونس، ١٩٩٩،٧٠٣صفحة، انظر: ص١٧. جعيط، **تأسيس الغرب الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت،٢٠٠٣،٩٢،٩٣. انظر كذلك فرحات الدشراوي الذي قال "أن إفريقية كانت أرض خراج ثم أصبحت أرض سبي على الأقل حتى منتصف القرن الثامن الميلادي في عهد الوالي العباسي عبد الرحمان ابن حبيب" الدشراوي (فرحات)، **الخلافة الفاطمية بالمغرب**، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٨، ص٤٧.

(٤) ذكر جعيط أن القبائل التي فرضت عليها عقود صلح كان عليهم أن يدفعوا بموجب ذلك ضريبة نقدًا أو عينًا وكانت القبائل تلتزم بعدد من العبيد أو غيرها في الفترات الأولى لتنظيم الولاية وكان الدافع في دخول الإسلام لأسباب اقتصادية واجتماعية وجبائية، انظر جعيط، نفس المرجع، ص٩٧، ١٤٧، ١٤٨.

(٥) قام الباحث لمجد الدريدي بأطروحة تناول فيها القرى والمجتمعات القروية خلال الفترة الممتدة من القرن الثاني إلى القرن الخامس الهجري وتعرض بالخصوص إلى إشكالية المصطلحات المتعلقة بالملكيات التي كانت سائدة وبين مختلف أوجه استعمالها من خلال المصادر الخاصة بالفترة ونحيل القارئ على أهم ما ورد في هذا العمل. انظر:

Dridi (Lamjed), Les villages et les sociétés villageoises en Ifriqiya au haut moyen age (II-Vs.H/ VIII-XIs.J.C.) Approche historique et archéologique, Thèse de doctorat, Ecole pratique des hautes études, Sorbonne, Paris, 2008,2 tomes ; voir, pour la terminologie, tome 1, p.36-59.

El Behi (Ahmed), «Les grandes propretés foncières en Ifriqiya durant le haut moyen âge : Toponymie et topographie », Revue d'Histoire Maghrébine, 49 année, numéro 186, février, 2022, pp.9-26.

(٦) الرقيق (أبو إسحاق)، **تاريخ إفريقية والمغرب**، تحقيق عبد الله العلي الزيدان وعز الدين موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠، ص١٠٧.

(٧) المالكي، رياض النفوس...، ج١، ص١٩٣، ١٩٤.

Talbi (M), « Droit et économie... », Op.cit, p188

٨) المالكي، ج١، ص١٢٦..Talbi(M) ,ibid

(٩) البكري (أبو عبيد)، **المسالك والممالك**، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، ١٩٩٢، ص٧٠٦.

(١٠) ابن عذاري (المراكشي)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ج.س.كولان وليفي بروفنصال، دار الثقافة، بيروت، ج١، ص٨١، ٨٢.

(١١) الرقيق، **نفس المصدر السابق**، ص٩٨.أبو العرب (التميمي)، **طبقات علماء إفريقية وتونس**، تحقيق علي الشابي ونعيم حسين اليافي، الدار التونسية للنشر،١٩٨٥، ص٩٨، المالكي، ج١، ص١٢٩، ١٣٠، ٤١٢.ابن ناجي (أبو الفضل)، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، تحقيق إبراهيم شبوح، المكتبة العتيقة، ١٩٦٨، ج١ ، ص ٢٣٤.

(١٢) الطالبي (محمد)، **تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض**، تونس، ١٩٦٨، ص٦٣، ابن ناجي، ج٢، ص٦٥، المالكي، ج١، ص٣٥٨، عبد الوهاب (ج.ج)، ورقات عن الحضارة الإفريقية، مكتبة المنار، تونس،١٩٧٢، ج٢، ص١٠٠.

(١٣) المالكي، ج١، ص٣٥٩، ٣٦٦..Dridi, Op-cit, tome1, p54

(١٤) المالكي، **رياض النفوس**...،ج١،ص٣٧١.

(١٥) اللبيدي (أبو القاسم)، **مناقب الجبنياني**، نشر الهادي روجي إدريس، المنشورات الجامعية، فرنسا، ١٩٥٩، ص٤، ٨، ٣٣.

(١٦) نفس المصدر، ص٧٣.

(١٧) المالكي، ج١، ص١٢٦..Ibidem

(١٨) البكري، ص٦٨٥.

(١٩) البكري، ص٦٨٦.

(٢٠) الرقيق، ص١٣٩.أشار أحد الدارسين أن الفترة الإسلامية الأولى شهدت ما عرف ب"الثورة الخضراء" حيث تم جلب زراعات جديدة من الهند مثل القصب السكري والأرز والقطن وغيرها وتم تطويرها من قبل العرب وكان ذلك منذ القرن الأول الهجري/٧م واستعمل الأمويون يد عاملة من العبيد (ومن بينهم المصدّرين من بلاد المغرب) والغرباء وأسرى الحرب في العمل الزراعي Renault(F), La traite des noires au proche orient médieval VII-XVIIsiecle,guethner,Paris,1989, p.44, 45. موسى (عز الدين)، وقفات منهجية مع المفاهيم والمنظور والأساليب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣، ص١٠٨، ١٠٩. ميتز(آدم)، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٦،ج٢، ص٧٢٠، ٧٣٢.

(٢١) ابن عذاري، **البيان**، ج١، ص٨٦، ٨٧.

(٢٢) ابن عذاري، **البيان**، ج١، ص١٠١.

(٢٣) البكري، ج٢، ص٧٠٨، ٧٠٩.

(٢٤) الشماخي (أبو العباس)، **كتاب السير**، تحقيق محمد حسن، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، ١٩٩٥، ص١٣٨. "ثلاث يصلحن لدنياك وأخراك لا بأس أن تستخدم العبيد بالليل إذا لم تستقص خدمتهم بالنهار"

(25) Deschamps (H), Histoire de la traite des noirs de l'antiquité à nos jours, Fayard, 1971, p30.

(٢٦) البكري، ج٢، ص٦٦٦.

(٢٧) المالكي، **رياض النفوس**، ج٢، ص١٨١، ١٨٢. ابن ناجي، **معالم الإيمان**، ج١، ص٨٢، "كان عبد الله بن عمر بن الخطاب يتصدّق بالسّكر"

(٢٨) البكري، نفس المصدر، ج٢، (١٤٢٦)، ص٨٥٤.

وذكر الباحث مالويست أن يد عاملة من السود كانت تشتغل بجنوب المغرب في زراعة السكر، ويذكر أنه في بداية العهد الموحدي كان عبد المؤمن ابن علي قد قتل ٣٠٠٠ من سودان أهل أغمات كما كان ليوسف بن سليمان أحد أصحاب ابن تومرت عبيد كثر في السوس كما أن العرب الطارئين اقتنوا عبيدا كثيرين، ويبدو أن زراعة السكر بالمغرب الأقصى تواصلت خلال كامل الفترة الوسيطة واعتمدت في جزء كبير منها على اليد العاملة من العبيد السود وأوردت المصادر ذلك خاصة في فترة أحمد المنصور الذهبي.

Malowist (M), « Le commerce d'or et des esclaves de Soudan occidental »,Africana Bulletin, n°4, Université de Varsovie centre d'Etude Africaines ,1966,p62,65 ; cité par Kodjo Niamkey (G), « Razzias et développement des Etats du soudan occidental »,in de la traite a l'esclavage, actes du colloque international sur la traite des noirs, Nantes 1985, édités par Serge Daget, tome -I- : Vé-XVIII siècles, Nantes,1988,p20.

ابن عذاري (المراكشي)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق الكتاني وزنيبر وابن تاويت وزمامة، الدار البيضاء،١٩٨٥،ج٤، ص٨٤، موسى(عز الدين)، النشاط الاقتصادي....،ص١١٧.

(٢٩) ابن عذاري، ج١، ص٨٢.

(٣٠) أبو العرب، ص١٦٧.

Dridi, Les villages...,op-cit, tome1, p54 , voir aussi : p53 la terminologie du mot Manzil.

(٣١) الرقيق، تاريخ، ص١٢١، ١٢٦، ١٥٨، ١٧٠، ١٧٣..Dridi, ibid, p40

(٣٢) الشماخي، ص١٢١، ١٢٢، انظر كذلك ص١٢٤-١٢٦. وذكر الدرجيني أن أحد فقهاء الاباضيين من الطبقة التاسعة (٤٥٠-٥٠٠هـ) باع غنما وعبدا ومطمورة شعير لدفع الدين الذي كان عليه، الدرجيني (أبو العباس)، **طبقات المشايخ**، تحقيق إبراهيم طلاي، الجزائر، ١٩٧٤، ج٢، ص٤٠٢، انظر كذلك الشماخي، ص٣٧٦.

(٣٣) المالكي، **رياض النفوس**...، ج١، ص٤٧٤. وأشار مؤلف "سيرة جوذر"ص٩٥، أن عامل برقة أفلح الناشب بعث عشرين بعيرا هدية إلى جوذر الذي كان يستعملها بدون شك في نقل البضائع من دواخل أفريقية لتصديرها نحو صقلية ولا شك أن الاهتمام بهذه الإبل كان موكلا إلى العبيد سواء من الصقالبة أو من السود، كما لا يبدو الوضع مختلفا بالمغرب الأقصى والأندلس: انظر: بنمليح (عبد الاله)، **الرق في بلاد المغرب والأندلس**، دار الانتشار العربي،٢٠٠٤، ص٨٩.انظر كذلك ابن ناجي الذي أشار إلى عتق ابن طالب لعبد كان يرعى الغنم. ابن ناجي، ج٢، ص١٦٥. انظر نفس الرواية في الصفحة الموالية، أما فيما يتعلق بالثروة التي كان يمتلكها ابن طالب والسخاء الكبير الذي كان يتمتع به فيمكن الرجوع إلى ص١٦٤-١٧٢.

(٣٤) القاضي (النعمان)، **كتاب المجالس والمسايرات**، تحقيق الحبيب الفقي وإبراهيم شبوح ومحمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،١٩٩٧، ص٣٠٩، ٣١٠.

(٣٥) البكري، ص٧١٧.

(٣٦) ابن عذاري، البيان، ج١، ص١٢٣.

(٣٧) بنحمادي(عمر)، "**بعض المنعرجات الهامة**..."، المرجع السابق، ص٨٩-٩٣.

(٣٨) منح المعز مواليه الصقالبة حق الملكية والإرث بالرغم من التحفظ الذي أبداه القاضي النعمان الذي استغرب على حد قوله من هذا القرار، انظر: القاضي(النعمان)، ا**لمجالس والمسايرات**، ص٣٦٠، ٣٦١.

(٣٩) ابن حوقل (أبو القاسم)، **صورة الأرض**، تحقيق كراموس، ليدن،١٩٣٢، ص٧٣.

(٤٠) البكري، **المسالك والممالك**، ج٢، ص٧٠٤، ٧٠٥.

(٤١) الجوذري (أبو علي)، سيرة الأستاذ جوذر، تحقيق كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة،دار الفكر العربي،١٩٥٤، ص ٩٩.

(٤٢) نفس المرجع...، ص٨٩.

(٤٣) نفس المرجع...، ص١٢٢، ١٠٤.

(٤٤) نفس المرجع...، ص٩٥، ٩٦.

(٤٥) ابن عذاري، **البيان**، ج١، ص١٢٢، ١٢٣.

(٤٦) نفس المصدر، ص١٢٣.

(٤٧) نفس المصدر، ص١٢٣، ١٢٤.

(٤٨) المالكي، ج١، ص٣٨٤، أبو العرب، ص٢٢٨، وذكر ابن ناجي، ج٢، ص١٧٣، أن سبب محنة ابن طالب "أنّه نظر إلى ما فعل إبراهيم ابن الأغلب من الفسوق والاستطالة على المسلمين وإباحته للسودان نساء إبيانة حين امتنع أهلها من بيعها" البكري، المسالك...، ج٢، ص٦٩٤،٦٩٣. حسن (محمد)، **المدينة والبادية في العهد الحفصي**، جامعة تونس الأولى، تونس، ١٩٩٩، ج١، ص٣٢٣، بن حمادي (عمر)، نفس المرجع السابق، ص٩٣.

49 ) Renault (F), Op.cit, p45.

(٥٠) المالكي، **رياض النفوس**، ج٢، ص٣٨١، ٣٨٢.

(٥١) نفس المصدر، ج٢، ص٣٦٧، ٣٦٨.

(٥٢) الليبدي، مناقب...، ص٣٣.

(٥٣) نفس المصدر، ص٧٣.

(٥٤) الجوذري، سيرة...، ص١٠٤.أشرنا سابقا إلى حاشد البحريين من صطفورة والجزيرة مثلما ذكر في ذات المصدر ص٨٩.

(٥٥) ابن عذاري، ج١، ص٢٢٩.

(٥٦) ابن القطان (أبو الحسن علي بن محمد)، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠، ص١٥٢، موسى (عز الدين)، النشاط الاقتصادي في المغرب والأندلس خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، بيروت القاهرة، ١٩٨٣، ص١١٧. بنمليح، **الرق في بلاد المغرب**...، المرجع السابق، ص٥٢٦.

(٥٧) ابن عذاري، ج١، ص٢٣٨.

(58) Meillassoux (Cl), Anthropologie de l'esclavage le ventre de fer et d'argent, Presse Universitaire de France, Paris, 1986, p٢٠٣-2٣٤.

أشار المؤلف أن المجتمعات الإفريقية الاستعبادية كانت تعتمد على نفس العبيد في العمل الزراعي والحربي على حد سواء فهل نحن بصدد تماثل للوضعية التي وجدت في كل من إفريقيا السوداء وإفريقية خلال تلك الفترة؟

(٥٩) إدريس، **الدولة الصنهاجية**، ج٢، ص٢٢٨، ٢٢٩.

(٦٠) ويمكن أن نشير أن عدم الإجابة من قبل الفقهاء على الوضع القانوني للأراضي بإفريقية بعيد الفتح يبدو أنه لا يخلو من مبالغة قد تكون في جزء كبير منها بدافع سياسي واقتصادي بشكل خاص لأنها تتيح الفرصة أكثر للمصادرة من قبل الدولة والجماعات المتحالفة معها مما أسهم في تدعيم استبداد الجهاز الحاكم وساهم على ما يبدو في خلق مجتمع طيع ورخو له سمة استعبادية.

(٦١) الشماخي، كتاب السير...، ص٤٥. الدرجيني، ج١، ص٤٥. الورجلاني (أبو زكريا)، **كتاب السيرة وأخبار الأئمة**، تحقيق عبد الرحمان أيوب، الدار التونسية للنشر، تونس،١٩٨٥، ص٨٨. وذكر الدرجيني أن عبد الرحمان ابن رستم حين خرج من القيروان هاربا كان يُحمل على ظهر عبده وابنه عبد الوهاب. الدرجيني، ج١، ص٣٥، ٣٦. الورجلاني، نفس المصدر، ص٧٦.

(٦٢) الطالبي، **الدولة الأغلبية**...، نفس المرجع، ص١٥٧. **الرقيق**، ص١٨٧. ابن الأثير (عز الدين)،**الكامل في التاريخ**، دار صادر،بيروت،٢٠٠٥، المجلد السادس، ص١٥٥، ١٥٦.ابن عذاري، البيان،ج١،ص٩٢، ٩٣.

(٦٣) ابن الأثير، المجلد السادس، ص٥١٩.

(٦٤) الحنزولي (نصر)، **المجتمع بإفريقية من خلال النقائش في العصر الأغلبي**، شهادة الدراسات المعمقة في تاريخ وحضارة العالم المتوسطي، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، ٢٠٠٤، ص٨٧.

(٦٥) القاضي (النعمان)، **كتاب المجالس والمسايرات**، نفس المصدر، ص٣٠٦.

(٦٦) نفس المصدر، ص٥١٠.

(٦٧) القاضي النعمان، **المجالس والمسايرات**...، ص١٦٧.

(٦٨) الجوذري، سيرة...، ص٥٢، وذكر في صفحة ٨٨ أنه تم صناعة ملابس وحصر لأحد الموالي الذين أسروا.

(٦٩) نفس المصدر، ص٨٩.

(٧٠) الجوذري، سيرة...، ص١٢٦.

(٧١) الشماخي، السير...، ص١٧٧، يمكن الرجوع كذلك إلى: محمود (خالد حسين)، **"الرقيق والنشاط الحرفي ببلاد المغرب خلال القرون الأربعة الأولى للإسلام"**، مجلة الإنسان والمجال، المركز الجامعي نور البشير بالبيض، الجزائر، عدد٥، أفريل ٢٠١٧، ص٨١.

(٧٢) محمود (خالد حسين)، "**الرقيق والنشاط الحرفي ببلاد المغرب**..."، نفس المرجع السابق، ص٧٢.

(٧٣) نفس المرجع، ص٧٠،٧١،٨٣، ٨٥.